الهوية اللغوية في تعليم العلوم والرياضيات التجربة الماليزية أنموذجاً

مجدي حاج إبراهيم*

التوطئة

ينقسم الناس في مواقفهم نحو تعلم اللغة الإنجليزية واستخدامها ى قسمين: مؤيد ومعارض. فهناك من ينظر إلى تعلم اللغة الإنجليزية نظرة إجلال وإكبار وانبهار؛ لأن الإنجليزية اليوم أصبحت لغة العصر بلا منازع. فهي أكثر اللغات انتشاراً في العالم، وهي لغة التداول الأولى في مجال المعرفة والعلوم والثقافة، ولغة التجمعات السياسية والمنظمات الإقليمية والعالمية في جميع أنحاء العالم، ولغة وسائل الإعلام من صحف وبرامج تلفزيونية وأفلام، ولغة العمالة الحديثة والشركات الأجنبية العملاقة، ولغة الشبكة العنكبوتية حيث تبلغ المواد المكتوبة بالإنجليزية فيه 90٪ من إجمالي المواد المبثوثة فيها.

ومن جانب آخر يرى المعارضون أن اللغة تمثل أهم مظاهر الهوية التي تشكل الجوانب الفكرية والثقافية والروحية للمجتمعات الإنسانية، فلا يوجد شعب واع وراغب في التقدم والنهوض يرضى أن يتخلى عن لغته ويضحي بها؛ لأن بها حياته،

* أستاذ مشارك بقسم اللغة العربية وآدابها، كلية معارف الوحي والعلوم الإنسانية، الجامعة الإسلامية العالمية بماليزيا.

وسبيل بقائه، ولأنها مظهر هويته وتميزه عن الآخرين. ولذلك فإن الإصرار على استخدام اللغة الإنجليزية في تدريس العلوم في العالم الثالث ليس إلا امتداداً للاستعمار الأجنبي، وتكريساً للعولمة التي تريد جعل العالم بأسره أسيراً وتابعاً للحضارة الغربية عامة والأمريكية خاصة.

وبناء على هذا الانقسام، وفي ظل تحول العالم اليوم إلى قرية صغيرة تهيمن عليها اللغة الإنجليزية، دعا بعض المسؤولين والقادة السياسيين في دول العالم الثالث، ممن يؤيدون استخدام اللغة الإنجليزية، إلى اعتماد اللغة الإنجليزية في تدريس المواد العلمية في برامجها التعليمية. وكان ممن دعا إلى هذا الحكومة الماليزية التي قدمت في عام 2002م، في أواخر عهد رئيس وزرائها السابق تون د. مهاتير محمد، مشروعاً يدعو إلى استخدام اللغة الإنجليزية في تدريس مواد العلوم والرياضيات في جميع المراحل الدراسية، ابتداءً من المرحلة الابتدائية وحتى المرحلة الجامعية.

وقد احتدم جدل واسع في الأوساط الماليزية إزاء إعلان هذا المشروع، حيث أبدى معظم اللغويين الماليزيين من أساتذة الجامعات والمعلمين والتربويين استياءهم ورفضهم للمشروع؛ لأن الشعب الماليزي قد عانى كثيراً عندما كانت الإنجليزية لغة التحصيل العلمي في عهد الاستعمار الإنجليزي، حيث لم يتمكن من الالتحاق بالجامعة في تلك الفترة إلا عدد قليل جداً من الملايويين الذين لم يتجاوز عددهم 1٪ من عدد خريجي المدارس. لكن الحكومة سوغت موقفها بأنها درست المشروع من مختلف جوانبه، مؤكدةً أنها تدخل اليوم هذه التجربة باستراتيجيات مختلفة، ووسائل متطورة، وفي ظروف مغايرة لما كان متوفّراً أيام الاستعمار. وابتداء من عام 2003م، أدخلت الحكومة الماليزية قرار اعتماد الإنجليزية في تدريس العلوم والرياضيات حيز التنفيذ، وبدأ الطلاب في مختلف المراحل الدراسية يتلقون مواد العلوم والرياضيات بالإنجليزية، ولا يزالون حتى يومنا هذا. وعلى الرغم من مرور خمسة أعوام على تنفيذ هذا القرار، إلا أن التربويين لا يزالون يتخوفون من عواقب هذا التجربة ويرونها مغامرة خطيرة غير محسوبة النتائج والآثار.

يسعى هذا البحث إلى التعرف على دواعي التجربة الماليزية في تدريس العلوم والرياضيات باللغة الإنجليزية، وأهدافها، واستراتيجياتها، ووسائلها، كما يتطرق إلى مناقشة الاعتراضات التي وجهت إليها. وعلى الرغم من قصر عمر التجربة الماليزية في استخدام الإنجليزية في تدريس العلوم والرياضيات، فإن البحث سيحاول الكشف عن بعض النتائج التي تمخضت عنها، ودراسة مدى جدواها، وفرص نجاحها وإخفاقها.

اللغة الملايوية وصراعها من أجل البقاء وإثبات الذات

يجدر بنا قبل المضي في دراسة دوافع التجربة الماليزية الأخيرة ودوافعها في استخدام اللغة الإنجليزية في تدريس العلوم والرياضيات أن نلقي نظرة سريعة على تاريخ النظام التعليمي والسياسية التعليمية في ماليزيا في فترة ما قبل الاستقلال وبعده، من أجل ربط الحاضر بالماضي، والتعرف على الأثر الذي تركته اللغتان الملايوية والإنجليزية في النهضة العلمية والفكرية للبلاد.

إذا عدنا إلى عهد الاستعمار الإنجليزي، فإن التاريخ يحدثنا أن الملايوية لم يكن لها شأن يذكر في ذلك الوقت، فقد كانت تعاني من تخلف المتكلمين بها وضعفهم السياسي والاقتصادي والفكري، فضلاً عن ظهور لغات أخرى في مجتمعها نافستها وحصرت استخدامها في السكان الأصليين الملايويين فقط. وذلك لأن الاستعمار الإنجليزي في سبيل تحقيق مطامعه في الاستلاء على خيرات المنطقة ونهب ثرواتها قام بإدخال عناصر أجنبية دخيلة في جزر الملايو. فقد ترك السكان الأصليين –الملايويين– في القرى يعيشون حياتهم البدائية البسيطة، وجاء بأعداد كبيرة من الصينين البوذيين لتنقيب المناجم، والهنود الهندوس لزراعة المطاط. وبذلك حول الاستعمار الإنجليزي المجتمع الملايوي المتجانس ديناً ولغة وثقافة إلى مجتمع متعدد الأجناس والأعراق والديانات والألوان والثقافات.

ولم يقف الأمر عند هذا الحد، بل أسهم الاستعمار في جعل الملايويين مواطنين

من الدرجة الثانية، وذلك عندما ساعد الصينيين على الإمساك بزمام الاقتصاد في البلاد. فقد ساعدت عمليات تنقيب المناجم –التي اعتمد الإنجليز فيها على العمالة الصينية– على تحسين ظروف الجالية الصينية دون غيرها مادياً واجتماعياً واقتصاديا. فقد كانت معظم المناجم متاخمةً للمدن الكبيرة، مما أهّل الصينيين أن يقيموا في هذه المدن، ويتمتعوا بمزاياها ويقطفوا ثمار خيراتها. فقد كانت المدن الكبرى هي عصب التجارة في الأرخبيل الملايوي، وفيها مراكز الاستعمار الرئيسة. واستطاع الصينيون في مدة وجيزة أن يفرضوا سيطرتهم على تجارة المدن الكبرى، ويوسعوا نفوذهم فيها ويسيطروا على زمام الاقتصاد، ولا يزالون حتى يومنا هذا، في حين ظل الهنود في حقول المطاط، والملايويين في القرى النائية يشتغلون بالزراعة.

وفي ظل الزخم اللغوي والثقافي الذي كان تشهده المنطقة، اعتمد المستعمر الإنجليزي لغته في النظام التعليمي، فكان على الراغبين في التحصيل العلمي إجادة اللغة الإنجليزية إجادة تامة، إلى جانب تحمل تكاليف الرسوم الدراسية المرتفعة ونفقات تكاليف الإقامة في المدن، لذلك لم يقْدِم على التعليم العالي إلا أبناء الطبقة العليا ذات المال والنفوذ.

الملايوية في النظام التعليمي الماليزي قبل الاستقلال

لم يعرف المجتمع الملايوي المدارس ذات المناهج التعليمية والفصول الدراسية إلا في بدايات القرن التاسع عشر، ويعود الفضل في ذلك للإنجليز، أو بالأحرى للحركات التبشيرية التي كانت تنظمها الجمعية التبشرية بلندن (London Missionary Society)، وذلك حين استعانت المدراس الإنجليزية التبشيرية بالملايوية في مناهجها التعليمية لاستقطاب الملايويين نحو المسيحية.[1] وقد بادرت مدرسة بينانج المجانية (Penang Free School)

[1] Asmah Haji Omar, *Pengajaran Bahasa Malaysia Dalam Konteks Perancangan Bahasa Kebangsaan* (Kuala Lumpur: Dewan Bahasa dan Pustaka, 1992), p. 9.

باستخدام الملايوية في مناهجها التعليمية في عام 1819م، فأصبحب أول مدرسة في ماليزيا تستخدم الملايوية في مناهجها التعليمية. ثم أخذت مدارس أخرى في ولايتي فولاو بينانج (Pulau pinang) وملاكا (Melaka) باستخدام الملايوية في تقديم بعض المواد.

لكن الحركات التبشيرية في الولايات الملايوية لم تستمر طويلاً، فقد سحبت الجمعية التبشرية في عام 1847م جميع مبشريها، وأصبح التعليم في المدراس الإنجليزية خالياً من الدعوات التبشيرية الصريحة. وبعد رحيل المبشرين قام الملايويون بمساعدة الإنجليز بإنشاء المدارس الابتدائية الدينية عام 1860م لغرض محاربة الجهل والأمية المتفشية في المجتمع الملايوي. وقد عرفت هذه المدراس فيما بعد بـــ"مدارس القرآن"، وكانت تدرس فيها مهارات محدودة، هي القراءة والكتابة والحساب لمدة ست سنوات فقط. وقد استطاعت ولاية ملاكا أن تنشئ 30 مدرسة فيما بين الأعوام 1859-1903م.

وقد شهدت المدارس الملايوية الابتدائية نمواً سريعاً، ففي السبعينيات من القرن التاسع عشر بلغ عدد المدارس الملايوية 16 مدرسة، وبلغ عدد التلاميذ فيها 596 تلميذا. وفي ثمانينيات ذلك القرن زاد عدد المدارس الملايوية، فوصل إلى 85 مدرسة تضم 2230 تلميذاً، وفي التسعينيات تضاعف عدد المدارس الملايوية حيث بلغ 189 مدرسة تضم 7218 تلميذا. وكان ذلك يعني أن 84٪ من أبناء الملايويين الذكور المقيمين بجوار هذه المدراس تمكنوا من تعلم أساسيات الكتابة والقراءة.[1]

و لم يقتصر التعليم وبرامج محو الأمية على البنين فحسب، بل شمل البنات أيضاً، ففي عام 1885م افتتحت أول مدرسة للبنات، وفي عام 1892م بلغ عدد مدراس البنات 8.5٪ من مجموع مدارس البنين، لكن لم يتجاوز عدد التلميذات فيها 11٪ من مجموع التلاميذ البنين.[2]

---

[1] Awang Had Salleh, *Pengajaran dan Perguruan Melayu di Malaya Zaman British* (Kuala Lumpur: Dewan Bahasa dan Pustaka, 1974), p. 4.
[2] Awang Sariyan, *Teras Pendidikan Bahasa Melayu*, p. 41.

وعلى الرغم من هذا النمو السريع للمدراس الملايوية في القرن التاسع عشر، فقد انحصر في بعض الولايات الماليزية فقط، خاصة الجنوبية والوسطى منها، وظلت معظم الولايات الشمالية في منأى عن هذه النهضة العلمية. فالولايتان الشماليتان، كلنتن (Kelantan) وترنجانو (Terengganu)، لم تعرفا المدارس الملايوية الدينية إلاّ في بدايات القرن العشرين، حيث أنشئت أول مدرسة في كلنتن عام 1903م، وفي ترنجانو عام 1915م. أما ولاية جوهر(Johor) الجنوبية فقد استفادت من موقعها الجغرافي المحاذي لسنغافورة –مركز الحكومة الإنجليزية– في تطوير نظم التعليم فيها، ففي عام 1913م وعندما كانت ولاية ترنجانو لا تزال تفكر في إنشاء أول مدارسها الملايوية كانت ولاية جوهر تضم 56 مدرسة ملايوية.

واستمر بناء المدارس الملايوية في القرن العشرين، حيث أفاد إحصاء عام 1907م بوجود 232 مدرسة للبنين و34 مدرسة للبنات. لكن وعلى الرغم من كثرة المدارس الملايوية، إلا أنها كانت كلها مدارس ابتدائية ذات مساحات صغيرة وإمكانات محدودة، وكان الهدف الرئيس منها محو الأمية لدى الملايويين وتعليمهم المهارات الأساسية في القراءة والكتابة والحساب. فلم يكن هناك تخطيط ودعم من الحكومة الإنجليزية لتوسيع نطاق التعليم الملايوي إلى ما فوق المستوى الابتدائي. بل حاول الإنجليز تضييق نطاق استخدام الملايوية، وذلك عندما قرروا في عام 1885م تقليص فترة الدراسة في المدراس الملايوية الابتدائية من ست سنوات إلى أربع سنوات. فقد كانت السياسية الإنجليزية التعليمية ترى أن سنوات التعليم الأربع التي تقدمها المدارس الملايوية كافية وكفيلة بتهيئة حياة عادية دون المتوسطة للملايويين. وقد جاء في نص تقرير الحاكم الإنجليزي لولاية نجري سمبيلان (Negeri Sembilan) للحكومة الإنجليزية المركزية (بتاريخ 1898/6/14م) بأن "المدراس القومية الابتدائية تعلم الملايويين القراءة، والكتابة، والحساب، وعلم الطبيعة، والحروف الإنجليزية. وهذا التعليم كاف لجعلهم منضبطين، ومطيعين،

وأمناء، وقادرين على العمل مع الحكومة الإنجليزية ليكونوا لها عيونا، وموظفين في الجمارك، ومكاتب الغابات، والمناجم".[1]

وقد حذا أبناء الجاليتين الصينية والهندية حذو الملايويين، فأنشأوا مدارسهم الخاصة، واستخدموا لغتيهما الصينية والهندية في تقديم المهارات الأساسية. وعليه فقد تعددت المدارس الابتدائية، ولكن ظلت الإنجليزية المسيطرة على النظام التعليمي للبلاد. فقد كان على التلاميذ الراغبين في مواصلة دراستهم، على اختلاف انتماءاتهم، الالتحاق بالمدارس الثانوية الإنجليزية الموجودة في المدن الكبرى. و لم يكن ذلك في مقدور معظم الناس، خاصة الملايويين منهم، حيث كانت رسوم الدراسة فيها عالية، فضلاً عن ارتفاع تكاليف نفقات الإقامة بالمدن. وعند توفر الإمكانات المادية للراغبين في مواصلة دراستهم، كان عليهم إتقان الإنجليزية؛ لأن الدراسة في المرحلة الثانوية إنجليزية بحتة لا نصيب فيها للغات المحلية والقومية، ملايوية كانت أم صينية أم هندية. ونتيجة لذلك، فقد أحجم معظم الملايويين عن مواصلة تعليمهم واكتفوا بالشهادة الابتدائية.

وقد طرأت تحولات خطيرة على النظام التعليمي في أرخبيل الملايو أثناء الاحتلال الياباني ما بين سنتي 1943 و1945م، فقد استبدل المستعمر الياباني الجديد الإنجليزية بلغته اليابانية، وأقحمها في مناهج جميع المدارس الابتدائية الملايوية والصينية والهندية. كما حاول أيضاً توحيد المجتمع الماليزي المتعدد الثقافات بإدخال الملايوية بجانب اليابانية وفرضها في مناهج المدارس الصينية والهندية.[2]

وبعد خروج المستعمر الياباني وعودة الإنجليز، دخل المجتمع الملايوي مرحلة جديدة من الفكر والوعي القومي، سُمّيت بمرحلة "الوحدة الملايوية" (Malayan union)، حيث اتحدت جميع الولايات الماليزية لتكوّن جبهة قومية تناضل من أجل الاستقلال والحرية،

[1] Awang Sariyan, *Teras Pendidikan Bahasa Melayu*, p. 40.
[2] Asmah Haji Omar, *Pengajaran Bahasa Malaysia Dalam Konteks Perancangan Bahasa Kebangsaan,* p16.

فقد أدرك الملايويون أن القوة الإنجليزية ليست خارقة كما كانوا يتصورون، وأدركوا أن بمقدورهم قهرها وإخراجها من أراضيهم كما فعل اليابانيون.

وعلى الصعيد التعليمي، قامت الوحدة الملايوية بالتعاون مع الحكومة الإنجليزية بإعادة النظام التعليمي لسابق عهده، حيث أخرجت اللغة اليابانية من منطومتها التعليمية. ثم قامت بالتخطيط والترويج لبرامج تعليمية جديدة كان أهمها توفير التعليم المجاني لجميع طبقات المجتمع الماليزي. وعليه فقد زاد إقبال المجتمع الماليزي على التعليم، كما أقدمت التلميذات على التسجيل في مدارس البنين، لتبدأ مرحلة جديدة من التعليم المختلط.[1]

وقد بدت الحكومة الإنجليزية الجديدة أكثر مرونة من ذي قبل في تبني أفكار حركة الوحدة الملايوية، فكلفت إل. جي. بارنيس L. J. Barnes، مدير التدريب الاجتماعي بجامعة أكسفورد، بدراسة مشكلات النظام التعليمي الماليزي. وقد جاء في "تقرير بارنيس" عام 1951م أن الملايوية يجب أن تكون لغة التعليم الأولى، لكنه أكد ضرورة إبقاء الإنجليزية في مناهج التعليم الماليزية. وعليه فقد تبنى لغتين فقط في مناهج التعليم، هما الملايوية والإنجليزية، ونادى بتوحيد المدارس الحكومية، وجعلها مدارس ملايوية وإنجليزية فقط. لكن هذا التقرير لاقى معارضة شديدة من الصينيين والهنود الذين تمكنوا في نهاية المطاف من إبطال مفعول اقتراحات "تقرير بارنيس". وعلى الرغم من عدم دخول التقرير حيز التنفيذ؛ إلا أنه أكد بوضوح على ضرورة تبني لغة قومية واحدة لتوحيد البلاد و لم الصف الماليزي على اختلاف قومياته وطبقاته.

ونظراً لإخفاق تقرير بارنيس في الحصول على موافقة وإجماع جميع فئات المجتمع الماليزي، عينت الحكومة الإنجليزية لجنة أخرى برئاسة فين-وُو Fenn-Wu لدراسة مصالح الأقوام الأخرى في النظام التعليمي الماليزي، وعلى رأسها مصالح الجالية

[1] Asmah Haji Omar, *Pengajaran Bahasa Malaysia Dalam Konteks Perancangan Bahasa Kebangsaan,* p. 18.

الصينية. وقد جاء "تقرير فين–وو" مؤيداً وداعماً لتقرير بارنيس في جعل الملايوية والإنجليزية لغة التعليم الرئيسة في المدارس الحكومية الماليزية، ولكنه أكد ضرورة توفير السبل والإمكانات للتعليم باللغتين الصينية والهندية عند الحاجة والطلب، بشرط أن لا يقل عدد التلاميذ في الفصول الصينية والهندية عن 15 تلميذا.[1]

وقد وجد هذا التقرير بعض القبول في الأوساط التربوية، لذلك فقد أقره المجلس الحكومي الموحد في عام 1951م، ثم اعتمده قانون التعليم الماليزي لعام 1952م الذي ينص على جعل الملايوية اللغة القومية المعتمدة في النظام التعليمي، والسماح باستخدام الصينية والهندية في النظام التعليمي بوصفهما لغتين ثانيتين دون إدراجهما ضمن المناهج الحكومية المقررة. لكن هذا التقرير لم ير النور كسابقه، و لم يدخل حيز التنفيذ في عهد الإنجليز لنقص ميزانية التعليم، وعدم توفر الأطر اللازمة من معلمين مدربين مؤهلين، فضلاً عن معارضة بعض الأطراف الصينية والهندية التي كانت ترى أن التقرير يحجّم اللغتين الصينية والهندية ويجعلهما لغتين من الدرجة الثالثة.[2]

وبناء على ما تقدم، ظل النظام التعليمي في ماليزيا قبل استقلالها عام 1956م معتمداً اعتماداً شبه كلي على الإنجليزية، على الرغم من كل الجهود التي حاولت الارتقاء من شأن الملايوية. و لم تتجاوز مكانة الملايوية في النظام التعليمي آنذاك المرحلة الابتدائية، وحتى المدارس التي كانت تستخدم الملايوية في مناهجها التعليمية لم تكن تقدم مادة اللغة الملايوية، وكل ما في الأمر أنها كانت تستعين بالملايوية للتواصل مع التلاميذ المحليين لتعليمهم المهارات الأساسية التي تساعدهم على القراءة والكتابة والحساب. لذلك فقد عاش الملايويون زمن الاحتلال حياة متواضعة جداً نظراً لإخفاق العملية التعليمية التي اعتمدت لغة أجنبية يجهلها معظم المواطنين الفقراء، الأمر الذي جعل التعليم العالي حكراً على الطبقة العليا من المجتمع.

---

[1] Awang Sariyan, *Teras Pendidikan Bahasa Melayu*, p. 41.
[2] Mohd. Salleh Lebar, *Perubahan dan Kemajuan Pendidikan di Malaysia,* (Kuala Lumpur: Nurin Enterprise, 1988), p. 50.

اللغة الملايوية في نظام التعليم الماليزي بعد الاستقلال

لقد أدرك رئيس وزراء ماليزيا الأول، تنغكو عبد الرحمن الحاج بوترا، أهمية ربط النظام التعليمي باللغة القومية، لذلك فقد أعلن مباشرة بعد استقلال ماليزيا من الاستعمار البريطاني في عام 1957م ضرورة اعتماد الملايوية لغة رسمية للبلاد بدلاً من الإنجليزية، وجعلها لغة التعليم والتعلم. وقدتم تعديل الدستور الماليزي مرات عديدة لتحقيق ذلك، فمادة اللغة القومية لعام 1967 تنص وبصورة حتمية على جعل الملايوية اللغة الرسمية للبلاد، كما تمت صياغة قانون التعليم لعام 1961م لجعل الملايوية لغة التحصيل العلمي في البلاد، وجاء قانون التعليم لعام 1996م لتأكيد ذلك.

وعلى الرغم من تبني الحكومة الماليزية الأولى منذ البداية خطة "مليوة" (Malayanization) النظام التعلمي في البلاد، وما تبعها من جهود حثيثة ومتواصلة في الدعوة إلى تبني الملايوية لغة التعليم والفكر، إلا أن اللغة الإنجليزية ظلت بعد استقلال ماليزيا عام 1957م ولسنوات طوال اللغةَ الأولى في العملية التعليمية. فالطريق الذي شقته الملايوية نحو "مليوة" النظام التعليمي لم يكن ممهداً أو مفروشاً بالورود خاصة في ظل وجود لغات أخرى ذات شعبية كبيرة في المجتمع الماليزي المتعدد الأعراق واللغات. ولم تتحقق خطة "المليوة" الكاملة للتعليم في ماليزيا إلا عام 1983م، أي بعد أكثر من 25 سنة من استقلال البلاد. وسنستعرض هنا بعض الخطوات والإجراءات التي تبنتها الحكومة الماليزية الأولى لإحلال الملايوية بدلا من الإنجليزية، وجعلها لغة العلم والفكر.

شكلت الحكومة الماليزية قبيل الإعلان الرسمي للاستقلال في عام 1956م لجنة خاصة لدراسة سبل إعداد برنامج نظام تعليمي قومي موحد يهدف إلى جمع كلمة الشعب الماليزي وتوحيده من خلال اعتماد اللغة الملايوية لغة التعليم والتعلم. وقد تولى رئاسة هذه اللجنة وزير التعليم الأول تون عبد رزاق حسين، وقد عرفت فيما بعد بـــ"لجنة رزاق" (Razak Committee). وقد سعت الحكومة جاهدة لكي يحظى النظام التعليمي الجديد بالقبول والترحيب لدى جميع فئات المجتمع الماليزي على

اختلاف أصوله وانتماءاته. لذلك أوصت "لجنة رزاق" باعتماد الملايوية اللغة القومية والرسمية مع الإبقاء على لغات جميع الأقوام المكونين للمجتمع الماليزي وثقافتهم.[1]

وقد أعدت اللجنة تقريراً شمل مجموعة مقترحات، تؤكد ضرورة توحيد المناهج الدراسية في جميع المدارس، فيدرس جميع التلاميذ المحتوى نفسه، بغض النظر عن اللغة المستخدمة في عملية التدريس. لكن لجنة رزاق أقرت بصعوبة تحقيق هدف الحكومة التعليمي في جعل الملايوية لغة العلم والفكر في زمن وجيز، لذلك رأت تنفيذ المقترحات المقدمة بصورة تدريجية على مراحل متعاقبة. وقد بدأت بفرض تدريس اللغة الملايوية واستخدامها في جميع المدارس الماليزية سواء أكانت إنجليزية أم صينية أم هندية. ثم سلكت سياسة الترهيب والترغيب لإلزام جميع المدارس بخطتها، حيث قامت بتخصيص المعونات والمساعدات المالية للمدارس التي تُدرّس مادة اللغة الملايوية. كما قررت اللجنة أيضاً أن يصبح إتقان الملايوية شرطاً رئيساً لدخول المدارس الثانوية، والحصول على المنح الدراسية، بل وتولي المناصب الكبرى في البلاد. وقد قسمت اللجنة المدارس الابتدائية الماليزية إلى نوعين:

1. المدراس الابتدائية العامة: وقد سميت فيما بعد بـــ"المدارس الابتدائية القومية"، وهي التي تستخدم اللغة القومية –الملايوية– أداة اتصال في تقديم مناهجها التعليمية.
2. المدارس الابتدائية شبه العامة: وتسمى بالمدارس الخاصة، وهي التي تستخدم لغة أخرى غير الملايوية في التدريس، مثل الإنجليزية أو الصينية أو الهندية.

بيد أن تقرير رزاق لم يخلُ من قصور، فقد أُخذ عليه أنه أعطى المدارس غير الملايوية حرية الاختيار في استخدام الملايوية وتعليمها، الأمر الذي يتعارض مع أهداف الحكومة الساعية نحو توحيد الصف الماليزي وجمع كلمة جميع المواطنين الماليزيين تحت

[1] Asmah Haji Omar, *Pengajaran Bahasa Malaysia Dalam Konteks Perancangan Bahasa Kebangsaan*, p. 19.

مظلة نظام موحد يشملهم جميعاً بدون استثناء. أضف إلى ذلك أنه لم يمنع حداً زمنياً معيناً لإدخال الملايوية بصورة كاملة في النظام التعليمي الماليزي.[1]

وبناء على الانتقادات التي وجهت لتقرير رزاق، تولت هيئة جديدة في عام 1960م مهمة مراجعة التقرير وإصلاح ما ورد فيه من ضعف وقصور، وقد تولى رئاسة هذه اللجنة داتؤ عبد الرحمن طالب، وزير التعليم في ذلك الوقت. وقد قدمت اللجنة تقريرها الذي عرف بـــ"تقرير طالب"، وكان على رأس مهام هذه اللجنة تعميم الملايوية في جميع المراحل الدراسية الأولى ابتداء من الابتدائية حتى الثانوية. وقد خلص التقرير إلى أمرين مهمين، **الأول**: إلغاء استخدام الإنجليزية بوصفها اللغة الاتصالية في المدارس الابتدائية، واستبدالها بالملايوية. و**الثاني**: عقد امتحان الشهادات الابتدائية والمتوسطة والثانوية باللغة القومية فقط، وهي الملايوية.

وقد تبنت الحكومة "تقرير طالب"، وصار جزءاً من قانون المادة التعليمية لعام 1961م، وتم اعتماده لأكثر من 35 سنة قبل أن يُستبدل به قانون المادة التعليمية لعام 1996م.[2] وقد أوصت "لجنة طالب" جامعة ملايا Universiti Malaya –الجامعة الماليزية الوحيدة في ذلك الوقت والتي أنشئت عام 1959م– بتبني الملايوية في مناهجها التعليمية. لكن جامعة ملايا لم تُدخل الملايوية في منظومتها التعليمية بصورة فعلية إلا في عام 1965م، وذلك بعد أن تخرجت الدفعات الأولى من المدارس الثانوية التي تلقت كامل تعليمها الأولي بالملايوية. بيد أن استخدام الملايوية فيها اقتصر على بعض مواد التخصصات الإنسانية والاجتماعية كالأدب والاقتصاد. وفي عام 1968م بدأت عمليات مليوة العلوم الأساسية كالعلوم والرياضيات تنشط بقوة على الرغم من سيطرة الإنجليزية على معظم المواد.[3]

---

[1] Awang Sariyan, *Teras Pendidikan Bahasa Melayu*, p. 44.

[2] Abu Zahari Abu Bakar, *Perkembangan Pendidikan di Semenanjung Malaysia*, (Petaling Jaya: Penerbit Fajar Bakti, 1980), p. 80-81.

[3] Asmah Haji Omar, *Pengajaran Bahasa Malaysia Dalam Konteks Perancangan Bahasa Kebangsaan*, p. 23.

وفي ظل هذه التطورات المهمة، أخذ الصينيون يبدون تذمرهم وسخطهم إزاء اهتمام الحكومة الماليزية بالملايوية وحدها ومنح أصحابها امتيازات خاصة لا يحصل غيرهم عليها. ومع تزايد الانتقادات الصينية، بدأت وتيرة الخلاف تتفاقم بين الطائفتين، حتى تحول الأمر في 13 مارس من عام 1969م إلى صراع مسلح ذهبت ضحيته أنفس عديدة من الملايويين والصينيين. وقد كاد هذا الصراع يدخل ماليزيا في حرب أهلية شاملة تدمر البلاد، وتطيح بالنهضة الماليزية الوليدة، وتعيد البلاد إلى نقطة الصفر. وقد دفعت هذه الأحداث بالحكومة الماليزية إلى التفكير مجدداً في وضع اللغة القومية التي كانت ترمز إلى الملايويين وحدهم، فقررت تغيير مسمى اللغة الملايوية إلى اللغة الماليزية، حتى لا تكون لغة الملايويين وحدهم، بل تكون لغة جميع الماليزيين، ملايويين وصينيين وهنود![1]

وابتداء من السبعينيات أخذت مكانة اللغة الملايوية تقوى وتترشخ بشكل متسارع، وبدأت تزاحم الإنجليزية وتقصيها شيئاً فشيئاً، حتى نجحت في عام 1983م أن تنفرد وحدها بالعملية التعليمية. وقد تحقق بذلك حلم الحكومة الماليزية الأولى حيث صار الطلاب الماليزيون يتلقون كامل تعليمهم بالملايوية ابتداء من المرحلة الابتدائية حتى الجامعية.

ومما أسهم في رفع مكانة الملايوية إنشاء المجمع اللغوي الماليزي (Dewan Bahasa dan Pustaka) الذي عمل على استحداث المصطلحات العلمية الملايوية في مختلف العلوم المعارف. كما شهدت تلك الفترة إنشاء الجامعة الوطنية الماليزية Universiti Kebangsaan Malaysia والتي قامت فلسفتها على مليوة جميع العلوم والمعارف الإنسانية.

وقد تكاثرت مفردات القاموس الملايوي، وأصبح يعج بآلاف المصطلحات والمفاهيم العلمية والفكرية في مختلف العلوم والمعارف الإنسانية. وقد كان قاموس

[1] Asmah Haji Omar, *Pengajaran Bahasa Malaysia Dalam Konteks Perancangan Bahasa Kebangsaan, p.* 2.

ديوان الملايوي في عام 1970م يضم 28,000 كلمة، ثم تضاعف هذا العدد أضعافاً مضاعفة ليصل في عام 1986م إلى 477,300 كلمة. وصار لكل علم من العلوم المعرفية ثروة ضخمة من المصطلحات الملايوية لا يتسع المجال هنا لذكرها جميعاً، وإنما نكتفي بالإشارة إلى ما يتعلق منها بالعلوم في الجدول الآتي:[1]

التخصص	عدد المفردات	التخصص	عدد المفردات
فن العمارة	4,400 كلمة	الهندسة العامة	4,400 كلمة
الزراعة	4,956 كلمة	الأحياء	13,000 كلمة
الفيزياء	3,000 كلمة	الكيمياء	14,400 كلمة
الرياضيات	3,000 كلمة	العلوم	1,500 كلمة

كما كان من إنجازات المجمع اللغوي الماليزي في الارتقاء بالملايوية إصدار العديد من الكتب العلمية التخصصية في مختلف المجالات، وقد بلغ عدد ما أصدره المجمع من مؤلفات علمية أصيلة حتى بداية التسعينيات من القرن المنصرم 700 كتاب. كما أصدر المجمع اللغوي الماليزي العديد من القواميس العلمية التخصصية، مثل: قاموس الميكانيكيا (1989)، قاموس الإليكترومغناطيسيات (الإليكتورنيات والمغناطيسيات) (1990)، قاموس الكيمياء الحيوية (1989)، قاموس الكيمياء التحليلية (1991)، قاموس الكيمياء الفيزيائية (1991)، قاموس الفيسيوليجيا (1990)، قاموس علم الأنسجة العضوية وعلم التغذية (1990)، قاموس المايكروبات (1990)، قاموس الرياضيات (1990).

ونتيجة للجهود المتواصلة للارتقاء باللغة القومية في ماليزيا، استطاعت الملايوية بفضل أصحابها أن تثبت وجودها وذاتها، وقدرتها على استيعاب علوم العصر الحديث ومستجداته. وبفضل اتحاد الماليزيين والتفافهم حول لغتهم القومية، تقدموا بخطوات حثيثة في طريق التقدم والرقي، حيث توفرت لجميع طبقات المجتمع الماليزي فرصة

[1] Abdullah Hassan, *Bahasa Melayu Sebagai Bahasa Ilmu dan Esei-Esei Lain*, p. 43.

التحصيل العلمي المجاني، كما أصبحت العلوم والمعارف في متناول الجميع، ولم يعد تعاطيها مقصوراً على مجموعة قليلة كما كان الحال أبان الاحتلال الإنجليزي.

ويمكن أن نعد "تقرير رزاق" بداية النهضة التعليمية الحقيقية للملايويين خصوصاً والماليزيين عموماً، فهي التي وحّدت صفّهم، ووضعتهم على طريق النهوض كمجموعة قومية. فقبل ذلك التقرير، وعندما كانت الإنجليزية تسيطر على نظام التعليم الماليزي، لم يتمكن إلا 12٪ من التلاميذ الملايويين الحاصلين على الابتدائية من مواصلة دراستهم الجامعية، ولم يتجاوز عدد الذين تخصصوا في العلوم والتكنولوجيا منهم 1٪. وعندما تحققت أهداف "تقرير رزاق" في عام 1983م، وأصبح التعليم باللغة القومية في متناول جميع الماليزيين، تقدمت البلاد بشكل سريع وملحوظ حيث نشط الاقتصاد الماليزي ونمى بمعدل 8٪ لسبع سنوات متتالية.[1]

مكانة اللغة الإنجليزية في المجتمع الماليزي بعد الاستقلال

لم يكن غريباً أن تتجدد المطالبة بإعادة استخدام الإنجليزية في المدارس والجامعات، خاصة وأن مكانة الإنجليزية لم تتضعضع على الرغم من محاولات إقصائها من النظام التعليمي. فعلى الرغم من نجاح الخطة التعليمية الماليزية في إيقاف استخدام الإنجليزية في العملية التعليمية في المدارس والجامعات الحكومية، إلا أن استخدام الإنجليزية في المجتمع الماليزي الكبير لم يتأثر، بل كان يزداد يوماً بعد يوم. فقد استطاعت الإنجليزية ولسنوات طوال أن تبسط نفوذها في الشارع الماليزي، وتبني لنفسها قاعدة شعبية عريضة، حتى أصبحت إحدى متطلبات العصر الحديث للشعب الملايوي. فالمحادثة بالإنجليزية، سليمة كانت أم غير سليمة، وتطعيم الكلام بالكلمات والعبارات الإنجليزية أصبح من سمات المجتمع الملايوي الحديث، ومن دواعي الفخر

[1] Abdullah Hassa, Ainon Mohammad, *Menilai Semula Strategi Penterjemahan Sebagai Cara Kerja Pembinaan Ilmu di Malaysia*, Persidangan Penterjemahan Antarabangsa Ke5, (Kuala Lumpur: Persatuan Penterjemahan Malaysia, 1995), p. 287.

والاعتزاز لدى الطبقة العليا والمثقفة من المجتمع، خاصة القاطنين في العاصمة أو عواصم الولايات الكبرى. وقد ذكر كارمل[1] أربعة عوامل كان لها أثر كبير في ترسيخ الإنجليزية في المجتمع الملايوي قلباً وقالباً، وهي:

أولاً: العامل السياسي: اشترط الاستعمار الإنجليزي قبل مغادرة الأراضي الماليزية وجوب استخدام الإنجليزية في البرلمان الماليزي والمؤسسات والهيئات الحكومية لمدة عشر سنوات من تاريخ الاستقلال، وقد سوغوا طلبهم أو شرطهم هذا برغبتهم في متابعة سير العملية الديموقراطية في البلاد. ولم تبد الحكومة الماليزية الأولى أية تحفظات على هذا الشرط، على الرغم من أن الدستور الماليزي ينص على أن لغة البلاد الرسمية هي الملايوية. وكان من المقرر أن تكف الحكومة الماليزية عن استخدام الإنجليزية في مؤسساتها وإداراتها بعد مرور السنوات العشر المتفقة عليها، لكن ذلك لم يحدث. وعلى العكس من ذلك، زادت أهمية الإنجليزية وسطوتها في الحكومة حتى أصبحت الإنجليزية اليوم شرطاً رئيساً للمناصب العليا والمراكز الحساسة في هيكل الدولة.

ثانياً: العامل الإعلامي: استطاعت الإنجليزية أن تفرض سيطرتها على وسائل الإعلام بواسطة شبكات التلفزة والإعلام الأمريكية. ففي دراسة إحصائية أجريت عام 1980م حول أثر الإنجليزية في الإعلام الماليزي، تبين أن حوالي 65٪ من البرامج التلفزيونية في ماليزيا تعرض بالإنجليزية، كما أن 50٪ من الأفلام السينمائية التي يعرضها التلفزيون الماليزي ناطق بالإنجليزية. وعلى صعيد الإعلام المقروء، ظهرت إحدى عشرة صحيفة إنجليزية محلية، تُصدر مجتمعةً نصف مليون نسخة يومياً، فضلاً عن الكتب والمجلات الإنجليزية المحلية والعالمية في السوق الماليزي.

ثالثا: العامل الاقتصادي: أسهمت الحكومة الماليزية بشكل فعال ومؤثر في الترويج للإنجليزية من خلال كثير من الإجراءات والقرارات والخطط التي تبنتها. ففي

[1] Carmel Heah Lee Hsia, *The Influence of English on Lexical of Bahasa Malaysia,* (Kuala Lumpur: Dewan Bahasa dan Pustaka, 1989) p 81-93.

الخطة الخمسية للأعوام 1970–1975م نادت الحكومة بضرورة دراسة العلوم والتقنيات الحديثة في خطتها التنموية والاقتصادية، وقد تدفق الماليزيون نحو تعلم الإنجليزية للالتحاق بالجامعات التي تقدم تخصصات العلوم والتقنيات الحديثة داخل البلاد وخارجها. كما كان لفتح السوق الحرة، ودعوة المستثمرين الأجانب، وتنشيط حركة السياحة، أثر كبير في تشجيع المجتمع الملايوي على تعلم الإنجليزية وممارستها في حياتهم اليومية.

رابعاً: العامل التربوي: منحت الحكومة الماليزية الإنجليزية مكانة خاصة في برنامجها التعليمي والتربوي لارتباطها بالعلوم والتقنية الحديثة، وعليه فقد ابتعثت الآلاف من طلابها إلى أمريكا وبريطانيا لدراسة العلوم الحديثة، وصار إتقان الإنجليزية والتفوق في مادة اللغة الإنجليزية شرطاً رئيساً للحصول على منح الابتعاث الدراسي.

وقد كان من آثار التضخيم الإعلامي لأهمية اللغة الإنجليزية أن ساد اعتقاد في جميع بلدان العالم الثالث، بما في ذلك ماليزيا، أن اللغة الإنجليزية إحدى ضرورات العصر، وأنها من متطلبات النجاح في الحياة؛ لأنها لغة الحاسوب والتلفاز ووسائل الاتصال. وكل شيء نرغب في الاطلاع عليه مكتوب باللغة الإنجليزية، فهي لغة جميع التخصصات العلمية والتكنولوجية، ولغة المواقع العلمية المتطورة في الإنترنت. فلا عجب إذن أن يصبح الاهتمام بالتحدث باللغة الإنجليزية سمة من سمات المجتمع المتحضر، فمن يعرف اللغة الإنجليزية يحصل على مكانة مرموقة في المجتمع، ويُنظر الناس إليه نظرة إجلال وإكبار، ومن يتقن الإنجليزية يضمن مستقبلاً أفضل في سوق العمل الذي يقدم الإنجليزية ويفضلها على سائر اللغات.

أما على المستوى الأكاديمي، فقد ساد اعتقادٌ في أن من يدرس باللغة الإنجليزية يكون مستواه العلمي أفضل ممن يدرس باللغة الملايوية. صحيح أن من يدرس بالملايوية وحدها يمكن أن يتخرج ويحصل على الشهادة، لكن مستواه العلمي سيكون ضعيفا؛ لأن لغته الإنجليزية ضعيفة. كما أن هناك من يرى أن اللغة الملايوية سهلة التعلم،

والأبناء يعرفونها ولن ينسونها أبداً؛ لأنها لغتهم التي يستخدمونها في البيت والشارع، وهذا يعني أن الطفل الذي يتعلم باللغة الملايوية وحدها لن يتمكن من تقوية لغته الإنجليزية أبداً؛ لأن الملايوية هي اللغة المتداولة في البيت والمدرسة، فهو إذا لم يتعلم الإنجليزية منذ الصغر سيصعب عليه تعلمها في الكبر، وهي إن لم تكن محور دراسته فلن تتاح له فرصة إتقانها بشكل جيد. ومما يؤكد أهمية اللغة الإنجليزية في التحصيل الأكاديمي أنه لا توجد دولة في العالم لا تُدرّس الإنجليزية في مدارسها وجامعاتها، ويؤكد كريستال أن عدد الطلاب الذين يتعلمون اللغة الإنجليزية في جميع أنحاء العالم يبلغ نحو بليون طالب، وهو ما يعني أن شخصًا من بين كل أربعة أشخاص في العالم يستطيع التواصل باللغة الإنجليزية.[1]

المطالبة باستخدام الإنجليزية في تدريس العلوم والرياضيات

أدركت الحكومة الماليزية أن الطريق الوحيد لماليزيا لتتحول من دولة زراعية نامية إلى دولة صناعية متقدمة أن تتقدم في مجال العلوم والثقافة، ولا يمكن أن يتم ذلك إلا بمواكبة الدراسات والأبحاث العلمية التي كُتب معظمها باللغة الإنجليزية. فلا شك أن اللغة الإنجليزية هي لغة التواصل في معظم التخصصات العلمية مثل الطب والصيدلة والهندسة وتقنية المعلومات، فمعظم المصادر المعتمدة لهذه العلوم مكتوبة باللغة الإنجليزية؛ لأن المؤلفات العلمية تصدر أولاً باللغة الإنجليزية في العادة، والأبحاث المستجدة في الإنترنت لا يكمن قراءتها إلا بالإنجليزية، لذلك كانت دراسة هذه التخصصات الحيوية باللغة الإنجليزية أفضل وأجود من دراستها باللغة الملايوية. فالطب والهندسة مثلاً لا تتوقف أهميتهما وفوائدهما على المستوى المحلي والإقليمي فحسب، بل تمتد إلى العالم الخارجي، لذلك يجب أن يلم الطالب بأصول اللغة الإنجليزية في

[1] Crystal, David, *English as a Global Language*, (Cambridge: Cambridge University Press, 2003).

المجالات العلمية والتكنولوجية حتى يتمكن بعد التخرج من التواصل مع المتخصصين الأجانب في العالم، والاطلاع على ما لديهم من أفكار وخبرات ومهارات، سواء عن طريق الإنترنت أو الاتصال المباشر عبر المؤتمرات والندوات العلمية. وفي ضوء ما تقدم تستطيع اللغة الإنجليزية أن تُعِد الطالب إعداداً جيداً للدراسة والنهل من العلوم الحديثة والثقافة من مظانها الأصيلة ومواكبة التطور السريع لهذه العلوم الحديثة التي كتب معظمها باللغة الإنجليزية. وقد ذكرت دراسة استراتيجية أعدها المجلس التنسيقي الفيدرالي للعلوم والهندسة والثقافة بالولايات المتحدة الأمريكية أن 50٪ من الكتابات العلمية والتكنولوجيا تنشر باللغة الإنجليزية،[1] وهذا يعني أن الطالب الماليزي الذي لا يجيد اللغة الإنجليزية سيحرم من أكثر من نصف المراجع في مجالات العلوم والثقافة.

كما أدركت الحكومة الماليزية أن متابعة التخصصات العلمية كالطب والهندسة باللغة الملايوية أمر بالغ الصعوبة بل يكاد يكون مستحيلا؛ لأن ترجمة الكتب العلمية إلى الملايوية تتطلب جهداً كبيراً ووقتاً طويلاً مما يجعلها لا تتناسب وحجم التطور السريع الذي تشهده هذه العلوم. وهذا يعني أننا لو قمنا بترجمة بعض الكتب العلمية، فنحن حين ننتهي من ترجمتها ستكون هذه الكتب قديمة وفي عداد النسيان بسبب سرعة تطور العلوم. وعلى صعيد آخر، تشكل المصطلحات العلمية عائقاً آخر في عملية النقل والترجمة، إذ معظم المصطلحات العلمية مفاهيم إنجليزية لا مقابل لها في الملايوية، مما يجعل عملية مليونها غير مجدية. وإذا نظرنا إلى ترجمة المجمع اللغوي الماليزي للمصطلحات العلمية نجد أن المجمع لم يفعل أكثر من نقلها نقلاً صوتياً إلى الملايوية، بمعنى أنه ترجم الماء بالماء بعد جهد وعناء.

وعلى الرغم من الدور الفعال والمؤثر للمجمع اللغوي الماليزي الذي قام بإصدار ما يقارب 700 مؤلف علمي مابين أصيل ومترجم، إلا أن معظمها كان يعالج العلوم الإنسانية، أما مؤلفات العلوم والثقافة الأصيلة والمترجمة فلم يكن عددها ليزيد عن

[1] Report of the Federal Coordinating Committee on Science, Engineering and Technology Policy, (Washington D. C., January 1993).

200 مؤلف. وهو عدد قليل جداً مقارنة بما هو مطلوب للحاق بركب الحضارة الغربية، فقد أحصت الجامعات الماليزية مؤلفات العلوم الحديثة التي ينبغي ترجمتها ونقلها إلى المكتبة الملايوية إلى ما يزيد عن 4000 كتاب علمي، وهو عدد قابل للزيادة مع تقدم الأبحاث العلمية.[1]

من هذا المنطلق، ونظراً لصعوبة المهمة الملقاة على عاتق المجمع اللغوي والجامعات المحلية بل وباستحالة تنفيذها على المدى القصير، نادى رئيس وزراء ماليزيا الرابع، د. مهاتير محمد، في عام 1993م، وبعد إعلان خطة "ماليزيا 2020"[2] بضرورة تعليم العلوم والثقافة بالإنجليزية بدلاً من تضييع الوقت والجهد في الترجمة.

وفي 22 يونيو لعام 1995م أصدر وزير التعليم الماليزي، نجيب عبد الرزاق –ابن صاحب "تقرير رزاق"– قراراً بتعميم تعليم مواد العلوم والرياضيات في جميع الجامعات المحلية بالإنجليزية. وفي عام 1996م قامت وزارة التربية بتقنين ذلك القرار، وجعلته جزءاً من قانون المادة التعليمية لعام 1996م.

و لم يجد هذا القرار في بداية الأمر معارضة حقيقية من المؤسسات التعليمية والهيئات المتخصصة، ربما لأن الملايوية قد بلغت من علو المكانة والمترلة ما جعل أصحابها يطمئنون إليها، ويثقون في قدرتها على الصمود في مواجهة تحديات العولمة الحديثة. وعليه فقد بدأ الطلاب الجامعيون المتخصصون في العلوم الحديثة يدرسون موادهم التخصصية بالإنجليزية مرة أخرى بعد غياب دام لأكثر من عشر سنوات.

لكن الانتقال المفاجئ من دراسة العلوم والرياضيات باللغة الملايوية في المدراس الثانوية إلى دراستها باللغة الإنجليزية في المرحلة الجامعية سبّب مشكلة كبيرة لدى كثير من الطلاب، وخلق فجوة بينهم وبين الإبداع والتميز في دراستهم بسبب الحاجز اللغوي الذي فرضته الإنجليزية عليهم. وقد دفعت هذه المشكلة الحكومة أن تعيد النظر

---

[1] Abdullah Hassan, *Bahasa Melayu Sebagai Bahasa Ilmu dan Esei-Esei Lain*, p. 43.

[2] تهدف هذه الخطة إلى أن تصبح ماليزيا دولة متقدمة تنافس دول العالم الصناعية الكبرى مع حلول عام 2020م.

في قرارها استخدام الإنجليزية في تعليم العلوم والرياضيات في المرحلة الجامعية، وذلك لأن التعليم عملية متصلة مترابطة الحلقات، لا ينفصل التعليم الجامعي عن التعليم الثانوي، ولا التعليم الثانوي عن التعليم الابتدائي، ويقتضي هذا الاتصال وجود إطار موحد للمناهج التعليمية بحيث تكمل مناهج كل مرحلة مناهج المرحلة التي تسبقها، ولا يتأتى ذلك إلا باستخدام لغة موحدة في جميع المراحل الدراسية.

وقد تعين على الحكومة الماليزية أن تختار بين اللغتين الملايوية أو الإنجليزية في تدريس مواد العلوم والرياضيات في مختلف المراحل الدراسية في ماليزيا، وقد وقع الاختيار على الإنجليزية لأنها لغة العلوم والثقافة. وفي عام 2002م أعلنت الحكومة الماليزية قرار تعميم استخدام الإنجليزية في تدريس العلوم والرياضيات في جميع المراحل الدراسية ابتداء من السنة الأولى الابتدائية وحتى آخر المراحل الجامعية.

أهداف المشروع واستراتيجياته

لقي مشروع الحكومة الماليزية الداعي إلى استخدام الإنجليزية في تدريس العلوم والرياضيات في جميع المراحل الدراسية معارضة قوية وانتقادات شديدة من بعض المتخصصين الأكاديميين والمعلمين والتربويين والسياسيين. لكن الحكومة دافعت عن رأيها، وقامت في عام 2003م بتنفيذ مشروع برنامجها التربوي الجديد. ويمكن تلخيص خطة مشروع وزارة التربية الماليزية في استخدام الإنجليزية في تدريس العلوم والرياضيات في النقاط التالية:[1]

1. الأهداف

يعود سبب اهتمام الحكومة الماليزية بالعلوم والرياضيات إلى أنهما أكثر المجالات المعرفية حيوية ومساهمة في تقدم البلاد ورقيها. وطالما أن معظم المعلومات والدراسات

[1] http://myschoolnet.ppk.;pm.my/ppsmi/soalan.htm

والأبحاث المتعلقة بمجال العلوم والتكنولوجيا متوفرة باللغة الإنجليزية، فإن استخدام الإنجليزية في التعليم الأولي لمواد العلوم والرياضات سيمرس التلاميذ ويعودهم على الاطلاع على هذه المعلومات بشكل مباشر وفعال، مما يؤهلهم في المستقبل للعمل على متابعة الأبحاث والدراسات العلمية الحديثة ومواكبة المستجدات والتطورات في جميع أنحاء العالم، والعمل على تقدم البلاد ونهضتها، ومنافسة الدول المتقدمة الكبرى. وجدير بالذكر أن الحكومة الماليزية لا تسعى من خلال خطتها التربوية الجديدة إلى إعادة استخدام الإنجليزية وإحلالها محل الملايوية في النظام التعليمي الماليزي، فالحكومة لا تزال ملتزمة بسياساتها التعليمية التي تجعل الملايوية اللغة الرئيسة في العملية التعليمية في البلاد.

2. الخطط

- تنفيذ الخطة التربوية الجديدة على مراحل وبشكل تدريجي، وتبدأ هذه المراحل بالفترة الانتقالية، وتبدأ من عام 2003م حتى 2008م.
- قيام المعلمين في الفترة الانتقالية بانتقاء موضوعات مختارة لتدريسها بالإنجليزية، وفي كل سنة تُوسَّع دائرة الموضوعات حتى يتعود التلاميذ على تلقي المعلومات العلمية والتقنية بالإنجليزية. أما الاستخدام الكلي للإنجليزية في تدريس كامل المقرر الدراسي لمواد العلوم والرياضيات فسيدخل حيز التنفيذ ابتداء من عام 2008م.
- وضع أسئلة الامتحانات النهائية في الفترة الانتقالية لمواد العلوم والرياضات باللغتين الملايوية والإنجليزية، وللطالب حرية استخدام أي اللغتين في الإجابة.
- توفير الكتب واللوازم المدرسية الأساسية لكل من المعلمين والتلاميذ، بحيث يحصل المعلمون على كتاب دليل المعلم الذي يشرح المقرر الدراسي بتفصيل دقيق. ويحصل التلاميذ على الكتاب الدراسي المقرر، وأدوات إلكترونية مسجل عليها بعض الموضوعات الدراسية على أشرطة وأقراص مدمجة، فضلاً عن

تزويدهم بمستلزمات تحتوي على مجموعة من الأنشطة والتدريبات الإضافية.

- تزويد المدارس الحكومية بالتسهيلات الإلكترونية التي يمكن استخدامها في تقديم دروس العلوم والرياضيات من معامل ومختبرات وكمبيوترات وأجهزة عرض إلكترونية.
- تقديم برامج تعليمية عن العلوم والرياضيات بالإنجليزية في التلفزيون الماليزي.
- عقد فصول تقوية ودورات مكثفة لمعلمي مواد العلوم والرياضيات لتحسين لغتهم الإنجليزية.
- منح علاوات وامتيازات خاصة للمعلمين الذين يدرسون العلوم والرياضيات بالإنجليزية. فيحصل كل واحد منهم على مكافأة مالية شهرية تعادل 5٪ من الراتب الأصلي، إضافة إلى إعارته جهاز كمبيوتر محمول للاستخدام الشخصي.

آراء المعارضين استخدام الإنجليزية في تدريس العلوم والرياضيات

ساق معارضو خطة استخدام الإنجليزية في تدريس العلوم والرياضيات حججاً كثيرة تؤكد عدم جدوى استخدام لغة أجنبية في العملية التعليمية، ناهيك عن الاستعانة بها في نهضة البلاد وتقدمها. فهم يرون أن الاعتزاز بالملايوية لا يكون من خلال الشعارات والخطب الدعائية وسن القوانين فقط، وإنما بغرسها في نفوس الصغار وتيسيرها وتسهيلها لهم حتى ينشأوا على حبها والتعلق بها، وإشعارهم عملياً بقدرتها على استيعاب المنجزات الحضارية، وإكسابهم القدرة على التفكير المنظم بلغتهم الأم. ويمكن تلخيص حجج المعارضين على كثرتها في أربع نقاط، وهي:

1. اللغات الأجنبية لا تساعد على تقدم البلاد وإنعاش الاقتصاد

يشهد التاريخ أنه لم يحدث على مر العصور أن تحققت نهضة حضارية لشعب أهمل لغته، واستعار لغة أجنبية مهما بلغت هذه اللغة الأجنبية من القوة والانتشار، ومهما بلغ

أهلها من التقدم والتحضر والرقي. فالحضارة الإسلامية في عصرها الذهبي الغابر لم تستعن بالفارسية أو اليونانية في بناء مجدها العظيم، بل قامت بترجمة أمهات المؤلفات الفارسية واليونانية إلى العربية، ومن ثم قامت بتطوير هذه العلوم باستخدام العربية وحدها. وكذلك فعلت أوروبا عندما أفاقت من سبات جهلها، وعزمت على بناء حضارتها الحديثة، حيث بدأت من حيث توقف المسلمون، فترجمت العلوم والمعارف من اللغة العربية إلى لغتها دون المساس بلغتها وقوميتها. لقد تفوق الغرب على العالم؛ لأنه درس العلوم بلغته الخاصة لأن اللغة القومية تمنح أصحابها قدرات وإمكانات واسعة لفهم الأفكار والتجارب بدقة ووعي تؤهلهم للإبداع والتطوير والاختراع.

ويشهد التاريخ أن الاستعانة باللغات الأجنبية لا يضمن التقدم والاستفادة مما تملك من علوم حديثة مزدهرة، ويطالعنا واقعنا الراهن بأن دول العالم الثالث التي استظلت بلغات مستعمريها لم تنجح في الخروج من حظيرة التخلف والفقر والضعف، ولم تسفعها اللغات المستعارة في استشراف طريق التقدم والرقي حتى بعد رحيل المستعمر الغاصب عنها وحصولها على الاستقلال. ونلمس ذلك بوضوح في تجربة الهند التي استخدمت الإنجليزية في برامجها التعليمية لمدة ثلاثمائة سنة، والفلبين لمدة خمسين سنة، وغيرها من دول أفريقيا وأمريكا اللاتينية التي استبدلت لغاتها بالأسبانية والبرتغالية. أما إذا تحدثنا عن نجاح الهند في تحقيق بعض الإنجازات العلمية الكبيرة كتطوير المجال النووي وامتلاك القنبلة النووية، وحصول أحد علمائها على جائزة نوبل في العلوم، فهذه الإنجازات العلمية لم تنجح في معالجة مشكلة تزايد الفقر والبطالة فيها، وذلك بسبب أن العلماء الذين يمتلكون زمام العلوم والمعرفة لا يفيدون شعبهم بطريقة مباشرة أو حتى غير مباشرة لانقطاع الاتصال بينهم بسبب الحاجز اللغوي الذي تفرضه اللغة الأجنبية.

وعلى صعيد آخر، تمكنت دول أخرى أصغر مساحة وأقل عدداً وإمكانات من التقدم والرقي والوقوف في مصاف الدول المتقدمة عندما حافظت على لغتها وهويتها

في بناء حضارتها المعرفية والنهضوية، مثل دول أوروبا: هولندا، وفنلندا، والسويد، والنرويج، والدينمارك، وبلجيكا، وبعض دول آسيا: اليابان وكوريا الجنوبية.[1]

ولنا في تجربة بروناوي خير مثال، فعندما استبدلت الحكومة الإنجليزية بالملايوية في تدريس العلوم والرياضيات ابتداء من السنة الرابعة الابتدائية، تدهور أداء التلاميذ في امتحان مواد العلوم والرياضيات. ولم يقف الأمر عند هذا الحد فحسب، بل طال ضعف الأداء امتحانات اللغة الملايوية أيضا. وقد نادت جامعة بروناي دار السلام – الجامعة الوحيدة في بروناي– مباشرة بعد ظهور نتائج الامتحانات المخيبة للآمال الحكومة البروناوية بمراجعة سياستها التعليمية، والعودة إلى استخدام الملايوية في تدريس العلوم والرياضيات.[2]

من هذا المنطلق، يرى هؤلاء أنه علينا أن نستعين ونستفيد ونتعلم من تجارب الآخرين، وأن نسير على نهج الدول التي تقدمت، وألا نخالف سنة الحياة. فعلى الرغم من اجتياح الإنجليزية سائر المعمورة وتربعها المرتبة الأولى في مجال العلوم إلا أن جميع الدول المتقدمة انطلاقاً من اليابان وروسيا وألمانيا وفرنسا وحتى إسرائيل لم تقم بتدريس مواد العلوم والرياضيات في مدراسها بالإنجليزية، وإنما اعتمدت لغاتها القومية فقط. فهل غفلت هذه الدول عن الفوائد الكبيرة التي تنبه إليها المخططون التربويون وحدهم؟!

2. اللغات الأجنبية تعيق التلاميذ من الفهم الواعي البناء

لقد أثبتت الدراسات التربوية أن الأمم تتقدم بلغتها الأم وحدها، لأن الشعوب التي تتعلم العلوم والتكنولوجيا باللغات الأجنبية تحصر نفسها في بوتقة الفكر الأجنبي، فتصير تابعة له، تستعمله وتستفيد منه لكنها لا تتخطاه ولا تضيف إليه؛ لأن عقول أصحابها أضحت تعيش في غربة ذلك الفكر الأجنبي، وتقيم حول محيطه الحضاري

[1] Abdullah Hassan, *Bahasa Melayu Sebagai Bahasa Ilmu dan Esei-Esei Lain, p.* 52.
[2] Abdullah Hassan, *Bahasa dan Pembinaan Tamadun Bangsa*, Kongres Bahasa dan Persuratan Melayu Ke-VI, (Tanjung Malim: Dewan Tun Abdul Razak, 2002) p 14.

والفكري واللغوي، فهي كالمرأة المعلقة لا تنتمي إليه ولا هو ينتمي إليها.

إن دراسة العلوم بلغة أجنبية تضيف إلى الطالب عبئاً ثقيلاً جديداً على أعباء الدراسة نفسها، فالطالب يتحمل مشقة تحصيل المادة العلمية ووعيها من جهة، ومشقة فهم اللغة الأجنبية من جهة أخرى. وكثيراً ما ينشغل الطالب باللغة الأجنبية، فينصرف جهده إلى التعرف على مفردات وأساليب اللغة الأجنبية بدلاً من صرف الجهد في استعياب المادة العلمية. وكثيراً ما يقع الطالب في غموض والتباس فهم اللغة الأجنبية، فتنتقل إلى ذهنه معلومات مغلوطة أو ناقصة، الأمر الذي يدفع به في نهاية المطاف إلى الانطواء والانزواء والزهد عن المشاركة في الفصل، فتموت في نفسه روح التفكير والإبداع.

إن اللغة الأجنبية تصبح حجر عثرة للتقدم والرقي لكل من يرغب استخدامها على حساب لغته القومية، فالطالب الذي يتعلم العلوم بغير لغته يواجه مشكلة ذات وجهين: ضعف اللغة واختلاف الثقافة، فضلاً عن المزج بين اللغة اليومية واللغة العلمية مع ما يستتبع ذلك من المشكلات في تعليم العلوم. ويضرب عبد الله حسن مثالاً على إخفاق دول آسيا التي تعلمت بالإنجليزية في التفكير في اختراع ما يخدم مصالحها الخاصة، إذ لم تفكر هذه الدول مجتمعة في اختراع قدر الأرز الكهربائي الذي يطهو القوت الرئيس للآسويين، وذلك لأن الثقافة الإنجليزية التي يعتمد قوتها الرئيس على الخبز لم تكن لتهتم بالأطعمة الثانوية كالأرز، ناهيك عن التفكير في اختراع قدر كهربائي لطبخه. أما اليابانيون فقد ساعدتهم علومهم التي تدرس بلغتهم في التفكير في مصالحهم الخاصة بحرية دون تأثير خارجي، فاخترعوا هذا الجهاز الصغير الذي لا تحتاج صناعته إلى كثير مشقة وعناء، فهي تقوم على علمين معروفين، يدرّسان في جميع المدراس: المعادن والبخار.[1]

وقد أجرت الباحثة نور هاشمة جلال الدين، من معهد الحضارة الملايوية

[1] Abdullah Hassan dan Ainon Mohd, *Teori dan Teknik Terjemahan* (Kuala Lumpur: Persatuan Penterjemahan Malaysia, 2000), p. 3.

بالجامعة الوطنية الماليزية، بحثاً ميدانياً على مجموعة كبيرة من تلاميذ المدراس الثانوية في عام 2004م للتعرف على الأثر الذي يتركه استخدام الإنجليزية في تدريس العلوم والرياضيات على نفوس التلاميذ الماليزيين، فتوصلت إلى أن 75٪ لا يوافقون على استخدام الإنجليزية في تدريس العلوم والرياضيات، و77٪ يؤكدون أن الملايوية قادرة على إيصال العلوم والرياضيات بشكل فعال ومؤثر، و71٪ يحبون تعلم العلوم والرياضيات بالملايوية، و70٪ يرون أنهم سيتفوقون في العلوم والرياضيات إذا استخدمت الملايوية في تدريسها، و87٪ لا يوافقون على استبدال الملايوية بالإنجليزية في النظام التعليمي، و50٪ رسبوا في امتحان مادتي العلوم والرياضيات للفصل الدراسي الأول.[1]

3. استخدام لغة أجنبية في نظام التعليم يؤثر سلباً في اللغة القومية

إن الذين ينادون باستخدام الإنجليزية في تدريس العلوم والرياضيات إنما ينادون -شعروا بذلك أم لم يشعروا- بإقصاء الملايوية من مجال العلوم والمعارف؛ لأنهم في الحقيقة إنما يزعمون بعجز الملايوية عن استيعاب المفاهيم والمصطلحات العلمية الحديثة. ويتساءل أوانغ ساريان Awang Sariyan، عضو اتحاد اللغويين الماليزيين، عن عيوب نظام التعليم الماليزي القديم الذي اعتمده "تقرير رزاق" (1956م) و"تقرير طالب" (1960م) وجرى العمل بهما حتى منتصف التسعينيات من القرن العشرين. فقد نجح نظام التعليم الماليزي الأول في تحقيق إنجازات ضخمة على الصعيد السياسي والاقتصادي والاجتماعي، حيث شهدت ماليزيا على يديه بزوغ فجر النهضة الصناعية، واستطاعت أن تنهض وتتحول من بلدة زراعية نامية إلى دولة صناعية تقف على مشارف أبواب الدول المتقدمة.

---

[1] Awang Sariyan, "Isu Pengajaran Sains & Matematik Dalam Bahasa Inggeris", 7 August 2005, (http://www.pts.com.mymodules)

لقد قطعت الملايوية شوطاً كبيراً في البحث العلمي، فوضعت آلاف المصطلحات العلمية في مختلف المجالات. كما نجحت الجامعات الماليزية المحلية في تخريج آلاف العلماء والمتخصصين الذين أسهموا في نهضة البلاد وتقدمها. إن القول بقلة المراجع الملايوية المتوفرة في العلوم والثقافة وإخفاق المجمع اللغوي الماليزي في مواكبة ترجمة الأبحاث العلمية المستجدة ليس مشكلة الملايوية وحدها، بل هي مشكلة العالم أجمع، إذ ليس في مقدور أي لغة في العالم ترجمة كل ما يصدر في العالم من كتب وأبحاث. لذلك فإن الملايوية ليست مطالبة بترجمة كل كتب العلوم والتكنولوجيا، وإنما على أبنائها ترجمة أهم المصادر، ومن ثم تطويرها وتوسيع نطاقها.

أما ترجمة المصطلح العلمي فليست ذات خطر كبير، ففي دراسة للسباعي تبين أن نسبة المصطلحات الطبية في المراجع الإنجليزية لا تتجاوز 3.3٪ من مجموع الكلمات الواردة في المراجع، في حين أن 96.7٪ من الكلمات عبارة عن مفردات من الكلام العادي غير المتخصص،[1] وهو ما يعني أن العائق في ترجمة الكتب العلمية ليس في ترجمة مصطلحاتها بقدر ترجمة الكتب نفسها.

إن إخراج الملايوية من البحث العلمي واعتماد الإنجليزية لغة تدريس العلوم والرياضيات سيؤدي لا محالة إلى إهدار جهود المجمع اللغوي الماليزي وتبديد طاقات العلماء الذين شاركوا في وضع آلاف المصطلحات العلمية المستخدمة في المناهج الدراسية والقواميس العلمية المختلفة، والتي سيؤول مصيرها بعد هجرها إلى النسيان والفناء. كما سيكون من نتائج إقصاء الملايوية من مجال العلوم أيضاً أن تموت جهود الجامعات المحلية، خاصة الجامعة الوطنية الماليزية، التي عملت لعقدين متصلين من الزمان على مليوة العلوم والمعارف.

إن اعتماد الإنجليزية وحدها في تدريس العلوم والرياضيات في مختلف المراحل الدراسية سيؤدي إلى كساد المؤلفات العلمية الملايوية من كتب ومجلات ودوريات

---

[1] انظر: السباعي، زهير أحمد، **تجربتي في تعليم الطب باللغة العربية** (الدمام: نادي المنطقة الشرقية الأدبي، 1995م).

علمية وإصدرات علمية مرئية وسمعية مسجلة على أشرطة الكاسيت والفيديو والأقراص المدمجة واللوحات والرسومات، فلن تجد من يشتريها ويقتنيها لانتفاء الحاجة لها. ولن يتوقف الأمر عند ذلك فحسب، بل سيؤدي غلبة الاهتمام بالإنجليزية إلى تقليص وتحجيم حركة التأليف بالملايوية، وسيكتفي الطلاب والدارسون بما يستورد من الكتب والمقررات والمراجع المدونة بالإنجليزية.

لقد زعمت الحكومة أن مكانة الملايوية لن تتأثر جراء استخدام الإنجليزية لأن الإنجليزية لن تغطي أكثر من مادتين فقط من مجموع مواد المنهج الدراسي الماليزي. بيد أن الحكومة تتجاهل أنها تقصي الملايوية بعيدا عن مجال العلوم. إن الحكومة تعارض نفسها بنفسها، فوزارة التربية الماليزية قد أعلنت مؤخراً أنها ستعمل على تكثيف المواد العلمية في جميع المناهج الدراسية. وابتداء من عام 2008م، ستغطي الإنجليزية 80٪ من الموضوعات والدروس المتعلقة بالعلوم الحديثة. وبناء على ذلك، فإن الملايوية التي صاحبت التقدم العلمي والحضاري والفكري للماليزيين، ستصير لدى الجيل الجديد القادم لغة التواصل الاجتماعي اليومي العادي فقط، لانقطاع صلاتها بالعلوم والتكنولوجيا التي تقوم عليها نهضة البلاد.[1]

4. استخدام لغة أجنبية في نظام التعليم يؤثر سلباً في الهوية والوحدة القومية

ترتبط اللغة بالهوية برباط وثيق، فلا تنفك إحداهما عن الأخرى، لأن اللغة لا تنفك ترتبط بتاريخ أصحابها ونشاطها الفكري، ونتاجها المعرفي، وجميع نواحي حياتهم. فهي الحاملة للقيم الثقافية، والعادات الاجتماعية، والمفاهيم الفكرية، والمعارف الإنسانية. وبناء على ذلك، يقع على عاتق اللغة مسؤولية الدفاع عن ذات متكلميها ووجودهم، وذلك من خلال تجسيد هويتهم والمحافظة على استمرارها وبقائها في وجه موجات الغزو الثقافي والفكري للقوى العظمى المهيمنة. فاللغة هي

[1] Awang Sariyan, “Isu Pengajaran Sains & Matematik Dalam Bahasa Inggeris”.

الأداة الحضارية التي يسيطر بها الإنسان على سائر القوى المختلفة في الكون، فما من حضارة إنسانية إلا وصاحبتها نهضة لغوية، وما من صراع بشري إلا ويبطن في جوفه صراع لغوي، ويذهب علي نبيل إلى أبعد من ذلك عندما قال بإمكان صياغة تاريخ البشرية على أساس صراعاتها اللغوية.[1]

وترجع أهمية اللغة في الحفاظ على مقومات الشخصية القومية إلى سببين رئيسين، الأول أنها عنوان على الشخصية، كأحد ملامحها التي تُعرف بها بين الآخرين، والثاني أنها النافذة التي تطل منها الشخصية على تاريخها وحضارتها، وقيمها وثقافتها، فتأخذ من ذلك كله ما يضمن لها التميز، ويحقق لها البقاء والاستمرار في العالمين. ولهذا إذا ما تخلت أمة عن لغتها، أو سمحت للضعف أو العبث أن يشيع فيها، تكون تلك الأمة قد تخلت عن أهم معالم شخصيتها، وسمحت للضعف أن يهددها، وللعبث أن يشوه صورتها ويهز حقيقتها.[2]

ويرى المفكر والأستاذ الجامعي الماليزي عبد الله حسن أن كرامة الشعوب تكمن في استقلالها التام، وهذا الاستقلال يجب أن يشمل جميع نواحي الحياة، لغة، وفكراً، وسياسة، واقتصاداً، وثقافة، ودينا. وعدم الاستقلال في هذه النواحي يجعل حرية هذه الشعوب وكرامتها المنقوصة، ولا يمكن تحقيق ذلك إلا باعتماد اللغة القومية، وتحرير الفكر من تبعية الفكر الأجنبي. إن الاستقلال اللغوي يكفل استقلال بقية النواحي الأخرى.[3]

لقد نجحت الملايوية في توحيد صف الماليزيين جميعاً على اختلاف أصولهم وانتماءاتهم ولغاتهم. فمن بعد الضعف والتخلف والجهل الذي كانوا يعيشون فيه إبان الاحتلال الإنجليزي، جاءت الملايوية لتقدم لكافة طبقات الشعب الماليزي فرصة

---

[1] علي نبيل، **الثقافة العربية وعصر المعلومات**، سلسلة عالم المعرفة (الكويت، العدد 276، 2001م)، ص228.

[2] المناوي، محمد فوزي، **أزمة التعريب**، (القاهرة: مركز الأهرام للترجمة والنشر، 2003م)، ص105.

[3] Abdullah Hassan, *Bahasa Melayu Sebagai Bahasa Ilmu dan Esei-Esei Lain* (Shah Alam: Penerbit Fajar Bakti, 1997) p 5.

التحصيل العلمي وأسبابه، الأمر الذي ساعد على حل الخلافات القومية وإلغاء النزاعات الطائفية، وتقدم البلاد ورقيها. لذلك فمن الخطأ الجسيم أن تضحي الحكومة بما أنجزته الملايوية في تعزيز الشخصية القومية والذاتية والعلمية والثقافية والتقنية وتعيد هيمنة اللغة الإنجليزية وثقافتها على الشعب الماليزي.

إن أكثر ما يثير المخاوف من استخدام الإنجليزية في تدريس العلوم والرياضيات أن يؤدي ذلك إلى تقسيم المجتمع الماليزي إلى طبقات، معيار التفوق والتفرقة فيه إجادة الإنجليزية. وذلك لأن هاتين المادتين ستصبحان قاصرتين على الطلاب الذين يجيدون الإنجليزية ويستخدمونها في حياتهم اليومية، ومعظمهم أبناء المدن الكبرى. أما أبناء القرى النائية فسيحرمون من الانتفاع من هذين التخصصين الحيويين، الأمر الذي سيقلص من فرص تحسين أوضاعهم المعيشية. وبناء على ذلك، فإننا لو سلمنا جدلاً بإمكان تحقيق نهضة علمية ومدنية من خلال استعارة لغة أجنبية، فإن هذه النهضة ستتحقق في المدن فقط دون القرى، أي أنها ستكون نهضة جزئية لا ينتفع بها جميع طبقات المجتمع.

من جانب آخر، فإن مما يثير القلق من استخدام لغة أجنبية في تدريس العلوم أن يؤدي عدم احتواء اللغة القومية لمضامين العلوم الحديثة إلى فقدان الشخصية القومية الجماعية والفردية، فاللغات التي تعجز عن استيعاب مفاهيم ومضامين العلوم الحديثة، التي هي عصب الحضارة الحديثة، ستبعث في نفوس أصحابها الشعور بالنقص والدونية والعجز والتبعية. ويتجلى هذا المعنى بوضوح عند الحديث عن تجربة سنغافورة، الدولة المتقدمة التي استبدلت لغات أقوامها –الصينية والملايوية– بالإنجليزية، نجدها اليوم تعاني وتشكو من إهمال أبنائها ثقافتها وفقدانهم هويتهم القومية. فقد صرح رئيس وزراء سنغافورة، جوه شوك تونج Goh Chok Tong، في حديث تلفزيوني في 1997/7/27م بأنه "يشعر بقلق تجاه الجيل السنغافوري الجديد، خاصة الصينيين منهم، الذين تلقوا تعليمهم بالإنجليزية لمدة

خمسة وعشرين عاماً، فقد أصبحوا لا يحملون من الثقافة الصينية إلا الوجوه الصينية، أما عاداتهم وثقافتهم وأفكارهم فأصبحت غربية. وأصبح كثير ممن يبتعثون للدراسة في أمريكا وبريطانيا يفضلون البقاء هناك بعد تخرجهم، وإذا عادوا فيعودون وقد تزوجوا من هناك".[1] وفي السياق نفسه، أجرى الدكتور شانغ هان يين Chang Han Yin، من قسم علم الاجتماع بجامعة سنغافورة الوطنية، دراسة ميدانية حول تأثير النهضة السنغافورية الحديثة على هوية الطلاب الجامعيين فيها، فوجد أن ثمانية طلاب من أصل عشرة يتمنون لو أنهم وُلدوا وخُلقوا أروبيين وليسوا آسيويين.[2]

آثار التجربة الماليزية في استخدام الإنجليزية في تدريس العلوم والرياضيات

على الرغم من قصر عمر التجربة الماليزية في تدريس العلوم والرياضيات بالإنجليزية في مختلف المراحل الدراسية، فقد بدأت آثارها تظهر للعيان، حيث تحققت بعض المخاوف التي رددها المعارضون، خاصة فيما يتعلق بعدم قدرة أبناء القرى النائية على متابعة دروس العلوم والرياضيات لتدني مستواهم في الإنجليزية. فقد أظهرت نتائج امتحان الشهادة المتوسطة لعام 2005م فشل الإنجليزية في إيصال المعلومات العلمية للطلاب الماليزيين، حيث أفاد رئيس الهيئة الماليزية لمعلمي الملايوية Kesatuan Kebangsaan Guru-Guru Melayu Malaysia Barat بأن 20.000 طالب حصلوا على D وE في امتحان مادتي العلوم والرياضيات من أصل 418.000 طالب سجلوا لامتحان الشهادة المتوسطة لعام 2005م.

يوضح الجدول التالي الولايات الأكثر تضرراً من هذه التجربة، ونسبة طلابها

---

[1] Abdullah Hassan, *Bahasa dan Pembinaan Tamadun Bangsa*, p. 15.

[2] المصدر نفسه.

الذين حصلوا على D وE في امتحان الشهادة المتوسطة لمادتي العلوم والرياضيات:

الولايات المتضررة	نسبة الراسبين في العلوم	نسبة الراسبين في الرياضيات
ملاكا	٪38.3	٪45.8
كلنتن	٪39.4	٪52.6
فيرق	٪44.8	٪50.3
جوهور	٪45.5	٪47.9
بولاو بينانج	٪41.1	٪42.2
صباح	٪54.3	٪65.9

يظهر من الجدول السابق أن ولاية صباح أكثر الولايات الماليزية تضرراً من استخدام الإنجليزية في تدريس العلوم والرياضيات. وقد تفاوتت نسبة الرسوب بين المدارس فيها بشكل ملفت للانتباه خاصة في مادة الرياضيات. فعلى سبيل المثال لا الحصر، نجد أن نسبة التلاميذ الحاصلين على D وE في امتحان مادة الرياضيات في مدرسة سونغاي باجين المتوسطة SMK Sg. Bagin بلغت 72٪. وفي مدرسة سونغاي سوي المتوسطة SMK Sg. Soi بلغت النسبة 69٪. وفي مدرسة بانجي كودات المتوسطة SMK Bangg, Kudat رسب 107 طلاب في مادة الرياضيات من أصل 111 طالباً، أي أن أربعة طلاب فقط نجحوا في هذه المادة في هذه المدرسة.

وبناء على ما تقدم، فقد طالب عضو البرلمان شونغ شيونغ جين Chong Chieng Jen، ممثل دائرة مدينة كوشينج Kuching في 2006/11/15م، بإعادة النظر في قرار استخدام الإنجليزية في تدريس العلوم والرياضيات، والعودة إلى استخدام اللغة القومية في تدريس جميع المواد الدراسية في المراحل الابتدائية والمتوسطة والثانوية. وسوّغ طلبه إلى ما آل إليه حال طلاب المدارس المتوسطة، حيث أظهرت نتائج امتحان الشهادة المتوسطة لعام 2005م أن 53.1٪ فقط من

طلاب السنة الثالثة المتوسطة تمكنوا من الحصول على درجة 40٪ فما فوق في امتحان مادة الرياضيات.[1]

على صعيد آخر، وجدت الأحزاب الصينية المؤيدة للحكومة الماليزية في تدني أداء الطلاب الصينيين في العلوم والرياضيات فرصةً للاصطياد في الماء العكر، والدعوة إلى المطالبة باستخدام الصينية في تدريس العلوم والرياضيات. فقد شجعهم نظام التعليم الجديد على التجرؤ والمطالبة بفرض اللغة الصينية على نظام التعليم الماليزي. وهو مؤشر خطير قد يؤدي حال تنفيذه إلى تفكك الوحدة القومية التي عملت الملايوية على لم أجزائه وربط حلقاته طوال السنوات الماضية. لذلك فقد أعلنت الحكومة الماليزية رفضها للاستجابة لمطالب حلفائها الصينيين. لكن لا يزال النقاش حول المقترح الصيني قائما ومتداولا بين أروقة البرلمان الماليزي.

وعلى الرغم من إصرار الحكومة الماليزية على الإبقاء على النظام التعليمي المستمد من المادة التعليمية لعام 1996، في جعل الملايوية لغة التعليم والتعليم، إلا أنها من خلال قرار استخدام الإنجليزية في تدريس العلوم والرياضيات قد فتحت للقوميات بابا يصعب إغلاقه، وتسببت في إحداث خلافات داخلية مع حلفائها الصينيين المقربين، ما كان لها أن تحدث فيما لو أبقت على نظام التعليم السابق!

ونظراً للإلحاح المستمر والضغوط التي تمارسها الأحزاب السياسية الموالية –قبل المعارضة– على الحكومة الماليزية للرجوع عن استخدام الإنجليزية في تدريس العلوم والرياضيات، لم تجد الحكومة الماليزية بُداً من النزول عند رغبة الجماهير، فوعدت بإعادة النظر في برنامجها التعليمي في عام 2008م. وقد سوّغت ذلك بأنها تريد أن تعطي البرنامج الحالي فرصته الكاملة في التجريب والاختبار.

[1] http://dapmalaysia.org/malaynet/2006/nov06/bul/bul033.html

خاتمة

تبين لنا من خلال دراسة تاريخ الأمم جميعاً أن الشعوب لا تتقدم إلا بلغاتها، وأن ما من شعب يفرط في لغته وثقافته وهويته إلا كان مصيره الضعف والضياع والتشرذم. فلم تكن لماليزيا أن تتقدم وتصل إلى ما وصلت إليه اليوم لولا تمسكها بلغتها وهويتها وشخصيتها المستقلة، ذلك لأن اللغة القومية هي الوحيدة القادرة على جمع كلمة الشعب، وتوحيد صفهم.

لم تخطئ الحكومة الماليزية عندما سعت نحو طلب علوم الغرب الحديثة، لكنها أخطأت عندما طلبت الإنجليزية لتكون حلقة الوصل بين هذه العلوم وحضارتها المرتقبة. وقد كان عليها بدلاً من استخدام الإنجليزية في تدريس العلوم الرياضيات أن تسعى إلى الربط بين الملايوية والعلوم الحديثة، لتعزز الشخصية الوطنية والذاتية العلمية الثقافية والتقنية، فتتكامل كل هذه العناصر في المواطن الماليزي ليصبح قادراً على الإنتاج والإبداع، فيحقق ذاته ويبني حضارته. ولا يتأتى ذلك إلا بالترجمة، لذلك كان على الحكومة الماليزية أن تهتم بالترجمة، وتعطيها حقها من التقدير والتوقير والدعم، فتمنح المترجمين مكانة مرموقة تجعلهم يقفون مع العلماء المتخصيين على قدم المساواة. وبمقدور الحكومة الماليزية تقديم حوافز مادية لتشجيع المتخصيين الملمين باللغات العالمية على ترجمة الكتب المتعلقة بتخصصاتهم. ويا حبذا لو طالبت الطلاب المبتعثين بترجمة كتاب أو بحث إلى الملايوية كشرط رئيس للحصول على المنحة الدراسية.

إن الدعوة إلى اعتماد الملايوية في تدريس العلوم والرياضيات لا تأتي من باب التعصب القومي، أو الشعور العاطفي نحو الذات، وليست من باب الشعارات والهتافات الفارغة، ولكنها تستند إلى حقائق موضوعية أثبتتها دراسات علمية جادة من دول مختلفة تؤكد أهمية استخدام اللغة الأم في تعلم وتعليم العلوم والتكنولوجيا.

إن الدعوة إلى جعل الملايوية لغة الفكر والعلم لا تعني ألبته قطع الصلات بينها وبين اللغات الأخرى، كما لا يعني كرهنا للاستعمار الإنجليزي أن نهمل الإنجليزية أو

نقلل من شأنها. فمعرفة وإتقان الإنجليزية وغيرها من اللغات العالمية ضرورة لا مفر منها لبناء نهضة علمية راقية تؤهلنها لمنافسة الدول الصناعية العظمى. لكن إتقان الإنجليزية شيء، واستخدامها في النظام التعليمي على حساب اللغة القومية شيء آخر، ففي إتقان الإنجليزية سبيل نحو تطوير الشخصية القومية ومواكبة التطورات والمستجدات العلمية والتقنية الحديثة، أما استبدال الإنجليزية بالملايوية فخطر على اللغة القومية وتهديد للوحدة القومية.